ظاهرة الكدية في نثر الأعراب

د / عبير مجاهد أحمد الحسنين

أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة بيشة
مدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر
مشرفة قسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بتثليث

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى، مناقشة ظاهرة الكدية ،في نثر الأعراب. كما يهدف إلى، كشف ملامح التجربة النثرية، في هذا الغرض، وكيفية تشكلها، ومدى نجاحها ،في التأثير على العطاء ،سلبا وإيجابا.تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، ومن أبرز نتائج البحث:

١- تعد الكدية، بمعنى السؤال وطلب العطاء، ظاهرة طبيعية في كلّ المجتمعات ، تدفع إليها الفاقة ، لا يختص بها مجتمع دون آخر، ولا تقتصر على المجتمع البدوي فحسب، وهي ظاهرة مُغرقة في القدم، ولا تزال موجودة إلى الآن.
٢- للكدية في نثر الأعراب، ثلاث صور، هي: (الكدية المجردة، والمغبونة، والميمونة)؛ فالأولى (الكدية المجردة): تتمثل في: الشكوى ،ووصف سوء الحال ،والتوسل بالدعاء. غير أن المتسول، لم يصرحُ فيها بثمرة الاستجداء ونتيجته، فهي بمثابة الاستمناح المجرد. والثانية (الكدية المغبونة): هو الاستجداء، الذي قوبل بالرفض والصد، على الرغم من كونها- غالبًا- استمناحًا لتحصيل أسباب العيش ،وضرورات الحياة، ولم يكن وسيلة لتحقيق الثراء، فهو استمناح في صورته الأولية، دعت إليه الحاجة وشدة الفاقة، ومع ذلك فقد باء بالفشل ، فرجع صاحبها عابس الوجه ، يدعو على المسئول، يهجو تارة، ويلوم أخرى. والثالثة: (الكدية الميمونة) وهو الاستجداء الناجح، التي رجع صاحبها بعطاء ميمون، حيث رجع إلى أهله مسرورا، يثني على مانحه، ويشكره على عطيته.
٣- يُمثل النثر خاصة المسجوع منه، أسلوبًا شائعًا من أساليب الاستجداء ،منذ بدايته ،وفي صورته الأولية، حيث أن الفقر ،هو الدافع إلى، طلب العطاء، حتى تحول الاستجداء الكدية، إلى حرفة امتهنها البعض، واتخذوها وسيلة للتكسب، وتحقيق الثراء.
٤- كان السّجع أسلوبًا شائعًا، للاستمناح في صورته الأولية، اتّخذه السائلون، وسيلة للاستجداء ، وسبيلاً للتأثير في قلوب الأغنياء، يستدرون به عطفهم.
٥- تعددت المضامين، والمعاني المختلفة، في ظاهرة الاستجداء، في نثر الأعراب، فلا يختصّ بموضوع واحد، ولا يقتصر على معنى بعينه، بل غالبًا ما يضمّ النموذج الواحد معان عدة، ومضامين مختلفة، من مدح وهجاء، ورثاء ودعاء، وموعظة وشكوى من الفقر، وسوء الحال.

كلمات مفتاحية: ظاهرة - الكدية - نثر- الأعراب.

مقدمة

يحفل أدبنا العربي شعره ونثره بالعديد من الأغراض الأدبية، وهو مؤشر صادق على ثراء هذا الأدب، وأدب الكدية واحد من الأغراض في أدبنا العربي؛ يتطرق لطبيعة الشخصية المكدية، التي تمثل الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع ، ولم يلق أدب الكدية الاحتفاء الذي لاقته سائر أغراض الأدب من مدح ورثاء، وفخر وهجاء. مع أن أدب الكدية قديم ذو جذور عتيقة في أدبنا العربي، ولد نتيجة العوامل والظروف

السياسية والاقتصادية المضطربة والمختلة في عالمنا العربي منذ الجاهلية الأولى، حيث أدت تلك العوامل إلى ظهور الفقر والعوز والحاجة، وهو ما دفعهم إلى سؤال الناس، ومن مجموع أولئك الفقراء خرجت طائفة من البلغاء إلى استجداء الأثرياء، متخذين من بلاغتهم وسيلة لاستعطاف الأغنياء، فنالوا عطاياهم أحيانا، ورجعوا صفر اليدين أحايين أخرى.

وقد انعكست بلاغة هذه الطائفة على أدبنا العربي إيجابا؛ فقد أثروا الأدب العربي بنماذج بديعة من النصوص النثرية والشعرية التي كانت ينبوعا رئيسا لمعاجمنا العربية، كما حفلت بالمفردات الغريبة، والتراكيب الفريدة، والصور البديعة. وهو ما دفعنا لتناول هذه الظاهرة في نثر الأعراب؛ باعتباره أقرب وأدق ، حيث صدق التعابير، وواقعية التصاوير، ونقل حيّ لحياة العرب قاطبة، المغمورين منهم والمشاهير.

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

تعد ظاهرة الكدية من الأغراض الأدبية التي لم تنل حظا وافيا في درسنا الأدبي والنقدي ، وتعد قلة المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع إليها في دراستنا هذه عقبة تعرقل مسيرة البحث، والتغلب عليها يحتاج إلى جهد مضاعف.

نضيف إلى قلة المصادر تلك قلة أخرى في مصادر نثر الأعراب، وندرة في الدراسات التي تناولتها، وهو ما يمكن أن يسهم في قيمة الدراسة

ولعل أهم التساؤلات التي فرضتها هذه الدراسة تمثلت في:

١- ما الكدية؟
٢- ما قواعد الكدية؟ ودوافعها؟
٣- ما مظاهر الكدية في نثر الأعراب؟
٤- كيف استجدى الأعرابي؟
٥- ماذا أضاف فن الكدية لأدبنا العربي؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الكاميرا على ظاهرة مغمورة في أدبنا العربي عامة، وفي نثر الأعراب خاصة؛ حيث تلقي الضوء على الكدية كموضوع من موضوعات أدبنا العربي، تجلى في الشعر والنثر، وأثر في لغته وتراكيبه وصوره ودلالاته، وقدم متعة للقارئ والباحث العربي في قراءته ودراسته.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مناقشة ظاهرة الكدية في نثر الأعراب. كما يهدف إلى كشف ملامح التجربة النثرية في هذا الغرض، وكيفية تشكلها، ومدى نجاحها في التأثير على العطاء سلبا وإيجابا.

منهج البحث:

فرضت طبيعة هذا البحث الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي؛ لنقف على مفهوم الكدية، وقواعدها، ودوافعها، ثم ملامح تجليها في نثر الأعراب، محللين بعض نصوصهم النثرية؛ لنتمكن من الوقوف على تشكلات هذه الظاهرة، وتأثيرها في الصورة الفنية في نثر الأعراب.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة ومسألتين، وخاتمة، بيانها كالتالي:

- **المقدمة:** وفيها مفاتيح البحث، مشكلته، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.
- **المسألة الأولى:** وفيها الحديث عن الكدية (المفهوم والدوافع)
- **المسألة الثانية: (الكدية في نثر الأعراب)**، وفيها تناولت ظاهرة الكدية في نثر الأعراب، من خلال دراسة القوالب التي تناولتها ، مستعينة بالصورة الفنية التي رسمت بها طريقة الاستجداء، ومدى براعة الأعرابي في استجداء ممنوحه.
- **الخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث.

المسألة الأولى: (مفهوم الكدية).

وردت لفظة (الكدية) في لسان العرب بمعان عديدة مختلفة؛ فقد أفاض ابن منظور في شرح معاني الكلمة، فجاءت عنده بمعان متقاربة من الاستجداء –أحيانا- وبمعان بعيدة –أحيانا أخرى، يقول:

"كدا: كدت الأرض تكدو كدوا فهي كادية إذا أبطأ نباتها.

الكدية والكادية: الشدة من الدهر. والكدية: الأرض المرتفعة، وقيل: هو شيء صلب من الحجارة والطين.

- والكدية. الأرض الغليظة، وقيل الأرض الصلبة، وقيل: هي الصفاة العظيمة الشديدة.
- ويقال أيضا: أصابتهم كدية وكادية من البرد، والكدية كل ما جمع من طعام أو تراب أو نحوه فجعل كثبة، وهي الكداية والكداة أيضا.
- وحفر فأكدى إذ بلغ الصلب وصادف كدية. وسأله فأكدى: أي وجده كالكدية.
- ويقال: أكدى، أي ألح في المسألة، يقال: لا يكديك سؤالي، أي لا يلح عليك، وقوله: فلا نحن نكديها، أي امتناع الطبيعة على أن تجود بما تحويه من خيرات تلين صلابة الدهر، وتخرج الزروع من الأرض، وتسقط أمطار السماء، قالت الخنساء:

فتى الفتيان ما بلغوا مداه *** ولا يكدى إذا بلغت كداها

أي لا يقطع عطاءه ولا يمسك عنه إذا قطع غيره وأمسك.. وأكدى الرجل: قل خيره([1]).

من خلال المعنى اللغوي السابق للكدية في لسان العرب، يتضح أن للكلمة معاني كثيرة ومختلفة، بيد أن بينها عاملا مشتركا ، هو المنع؛ حيث شدة الدهر، وصلابة الأرض، وقلة المطر، وقلة عطاء الرجل، والبخل.

[1]) ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم: لسان العرب –دار صادر- بيروت- د.ت- مادة (كدا) مج١٥/٢١٧-٢١٨.

وهو ما يقترب في مدلوله من المفهوم الاصطلاحي للكلمة والتي تعني الاستجداء.
والاستجداء حرفة لها أصول وقواعد، فقد سئل أحدهم عن كيفية تعلمه الكدية والسؤال فأجاب: "يوم ولدت منعت الثدي، فضحكت وبكيت، فأعطيت الثدي فسكت"([٢])، فالعطاء والمنع هما الدرس الأول الذي يتعلمه المستجدي في الحياة، حيث الاستجابة لطلبه يعني الصمت والعزوف عن البكاء، بينما المنع هو ما أثار غضبه على رغم حداثته.
والدرس الثاني يتمثل في كيفية السعي لكسب رزقه منذ اللحظات الأولى من بداية يوم جديد، لذلك كان الواحد منهم يستبشر بميلاد طفله في هذا الميعاد، فيتفنن في كسب رزقه بطريقة بليغة واعية، حيث يبدو أن لطف الاستمناح هو سبب النجاح([٣]).
وللشحاذ الماهر في حرفته طريقة مميزة؛ فالاستجداء لايعني لبس البالي من الثياب، أو بسط اليد، لكنه فن في قنص الدراهم، فالمستجدي الحاذق يلجأ إلى الكناية لا التصريح، كقول هذه العجوز تستجدي أحد الأشراف: "أشكو إليك قلة الجرذان" ففهم ما وراء جملتها وأجزل لها العطاء، قائلا: ما أحسن هذه الكناية! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا([٤])
ومن دروس الاستجداء الاعتماد على الجمل القصيرة، التي تعبر عن المعنى بحسن فصاحة اللفظ ، وبلاغة الأسلوب ، فيؤثر في نفس المانح، كما عليه أن يستخدم الكلمات التي تقطع عليه طريق الرفض، فيركز على تعظيمه، وحثه على العطاء، حتى ولو لم يرغب فيه. وقد يلجأ المستجدي إلى التخويف من عثرات زمانه الجائر، ومستقبله المظلم، وأحيانا يجعل من الدين معبرا لاستدراك عطف مشاهديه.
وهناك دوافع شخصية عدة تقف وراء استجداء أصحابها، كالفقر والعوز وشدة الحاجة، وهي أبرز دوافع الكدية، وأحيانا ما يكون كبر السن والهرم وعدم القدرة على جلب الرزق الدافع للاستجداء، وأحيانا يكون الدافع كثرة الولد مع قلة المال، وإطباق الفقر مصحوبا بالجوع القاتل، وكثيرا ما يدفع الأرامل إلى الكدية ما جلبته عليهن نوائب الدهر ومصائبه، من فقد الزوج العائل الوحيد للأسرة، مع ضعفها عن العمل والكسب، فيكون الاستجداء هو المهرب الوحيد من شبح الجوع والموت صبرا، وقليلا ما يكون الحرص والشح دافعا للكدية؛ فالبعض لديهم شهوة جمع المال وكنزه، مع الركون للراحة والدعة في كسبه، فيلجأ إلى الشحاذة لجمعه.
وللاستجداء أماكن مخصوصة؛ فالمستجدي يحرص على الأماكن المزدحمة كالأسواق والمساجد؛ لتعظم فرصته في صيد المال، وكثيرا ما يتخذ المكدي من بيوت وقصور الأغنياء والأشراف مكانا للاستجداء؛ ليظفر بأكبر صيد يمكنه الحصول عليه دفعة واحدة، فيتوجه إليه بالاستعطاف والتوسل، حتى إذا نال عطيته توجه إليه بالشكر والعرفان.
وقلة قليلة جدا من هؤلاء من يتوجهون إلى الله –عزوجل- مما يفسر بضعف الإيمان ، والجزع في كسب المال، والاعتقاد بأن المال في جيوب البشر فقط.
على كلٍّ، فالعطاء هي كل ما يريده المكدي المستجدي، من العامة والخاصة، فكل ما تعلمه من دروس سابقة ليزاول بها هذه الحرفة، هي خطة مرسومة للوصول إلى ما يريد، لذا فعندما يبلغ

---

[٢]) الثعالبي: يتيمة الدهر: تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد- دار الكتب العلمية – بيروت- ط١- ١٩٤٧م-ج ٣٦٩/٣.
[٣])الحموي، ابن حجة: ثمرات الأوراق- شرح وضبط: مفيد محمد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٨٣م – ص١٠٣.
[٤])يتيمة الدهر-ج ٢٩١/٤.

مراده تنتفخ أوداجه، وتقر بلابله، وينشرح صدره، ويلهج لسانه بكثرة الشكر والعرفان للمغدق عليه بالنعمة والعطية، وكلما زاد العطاء كثر الثناء على صاحبه.

ويُمثل النثر خاصة المسجوع منه أسلوباً شائعاً من أساليب الاستمناح والاستجداء منذ بدايته وفي صورته الأولية، حيث الفقر الحقيقي والحاجة المُلحّة هما الدافع إلى السؤال وطلب العطاء، لا بعد أن تحوّل الاستمناح عبر العصور المتعاقبة إلى حرفة امتهنها البعض ونزعوا بها، واتخذوها وسيلة للتكسب وتحقيق المنفعة وتحصيل الغِنى والثراء.

كان السّجع أسلوباً شائعاً للاستمناح في صورته الأولية، اتّخذه العُفاة والسائلون وسيلة للاستجداء والاعتفاء، وسبيلاً للتأثير في قلوب الأغنياء، يستدرون به عطفهم ونوالهم. وفي ذلك يقول د/ زكي مبارك:

"ومن طريف ما هدانا إليه الاستقراء أن السجع كان وسيلة من وسائل المجتدين والعفاة فهو عندهم فن من القول كالقصيد يتقربون به إلى قلوب الأغنياء"(٥).

ويمضي د/ زكي مبارك في حديثه قائلاً:

"وهذه الطريقة في الاستجداء لا تزال معروفة، ففي مضايف القرى المصرية وأسواقها يشهد الأغنياء أفواجاً من السائلين يتوسلون إليهم برقى من الكلام المسجوع، بعضها في المدح وبعضها في الدعاء"(٦).

المسألة الثانية: الكُديَة في نثر الأعراب.

تأتي الكدية في نثر الأعراب في صور شتى، عبروا من خلالها عن حاجتهم وصوَّرُوا فاقتهم، بأبلغ وصف وأفصح مقال. تلك الصور على تنوع مضامينها وتباين معانيها واتجاهاتها- من الشكوى ووصف سوء الحال والتوسل بالدعاء أو المدح وإسداء النصح والوعظ- جاءت على أشكال ثلاث، يحددها رد فعل المسئول؛ فقد لانجد في ذيل الكدية شكرا ولاثناء ، وقد نجدها مذيلة بالشكر والعرفان، وأحيانا بالذم والهجاء، وعليه فقد قسمنا العرض في هذه المسألة إلى ثلاث صور؛ أولها: الكدية المجردة، وثانيها: الكدية المغبونة، وثالثها: الكدية الميمونة.

أولا: الكدية المجردة:

وهي التي لم يصرحُ فيها المكدى بثمرة الاستجداء ونتيجته، فتأتي خالية من ذكر العطاء أو المنع، مجردة. ومن هذه صور هذا النوع، قول أعرابيّ يسأل مصورًا حاجته، واصفًا ما آل إليه من سوءِ حاله وفاقتِه، يقول:

"لقد جعتُ حتى أكلتُ النوى المحرق، ولقد مشيتُ حتى انتعلتُ الدمّ، وحتى سقط من رجلي بخصُ لحم، وحتى تمنيتُ أن وجهي حذاءٌ لقدمي، فهل من أخ يرحمنا؟!"(٧).

---

(٥) النثر الفني في القرن الرابع د/ زكي مبارك ص ٢٧ طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٣م.

(٦) السابق الصفحة نفسها.

(٧) راجع لسان العرب "حرق ، بخص " ، عيون الأخبارجـ ٣ ص ١٠٧ البصائر والذخائر جـ ٨ ص ١٩٥، نثر الدر جـ ٦ ص ٥٤، ربيع الأبرار جـ٣ ص ١٧٠. المحرق المبرود بالمبرد مرة، بعد مرة أو هو المحروق بالنار، وأكله كناية عن الفاقة وشدة الجوع بخص البخص لحم القدم ولحم فرسن البعير ولحم أصول الأصابع

لقد بلغ الجوع بالأعرابي مبلغًا أكل معه مبرود النوى، ولاقى من الجهد وشدة العناء ما أدمى قدميه وأزال عنها لحمها، وما تمنى معه أن يكون وجهُه حذاءً لقدمه "تمنيتُ أن وجهي حذاءً لقدمي" تصوير لقسوة ما يحسه الأعرابي من ألم وعناء يتضمن إيحاءً بشدة فاقته التي بلغت به حداً لا يجد معه ما ينتعله، مما حدا به إلى الاستجداء والطلب سائلا: "فهل من أخ يرحمنا"؟!

ويلاحظ على الصورة السابقة أن الاستجداء فيها قائم على الكناية، بعيد عن التصريح والمباشرة، ومثال ذلك ما حدّث به محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن عبيد عن ابن الأعرابي قال(٨):

قدم أعرابي من البادية فوقف على الناس فقال: "أنا عكاب بن عدينة أبوت عشرة وأخوت عشرة، وكنت مفزعا للجمة، مقنعا للهمة، أهنأ الفقير، وأفك الأسير، وأذيل العسير، فانباق علي الدهر متخوفاً لإخوتي وبنيّه، يوديهم واحداً واحداً، حتى اخترم ظهرتي، وأفنى عمارتي، وأساف ماليه، وأباد رجاليه، وكنت أورد إبلي سحراً، وأصدرها طفلاً، عكراً دثراً، ومالاً وفراً، قليلة الفرش والإفال، حسنة الحلية والفحال، فانتسفها الزمان، واجتملها الحدثان، حبجا وغدة، فقرع مراحي، وفنت أوضاحي، فهل من راحمٍ أخا جهدٍ ولأواء وشصاصاء، شملكم الله بإسباغ الرزق"(٩).

وهذه صورة من صور الكدية ترتكز على تصوير نوائب الدهر وصروف الزمان، عمد الأعرابيُّ فيها إلى تصوير حاله والفخر بذاته وفعاله، قبل أن ينال منه الدهر بكلكله ويدحضه الزمان بمحنه وشدته، فقد صار- وهو العزيز في قومه، المطاع فيهم، يُعمد إليه في الملمات ويفزع إليه لقضاء الحاجات- نهباً لتقلبات الدهر، وناله من صروف الزمان ما أهلك أهله وذويه فأبلاهم، وأباد ماله وبنيه فأفناهم، فإذا هو سائل مستجدي بعد أن كان مسئولاً مُعطِيًا.

ويضم النموذج السابق من الصور والإيحاءات قوله: "أهنأ الفقير" أي أصلح شأنه، أصله من الهناء الذي

مما يلي الراحة، وذهاب اللحم كناية عن شدة الهزال من أثر الجوع، مما يوحي بطول المسافات التي قطعها الأعرابي والجهد المبذول فيها.

(٨) الجليس الصالح الكافي الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي- أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى النهرواني، تحقيق/ عادل شوشة، مكتبة فياض - ط ١ سنة ٢٠٠٧م ص ٥٢٠ أبوت وأخوت معناه كنت أبا لعشرة وأخا لعشرة مفزعا للجمة ملجأ للقوم والجماعة العظيمة يسألونه في الحمالة والديات ليتحملها عنهم مقنعا يقنع به ويرضي برأيه وينتهي إلى أمره الهمة ملهمَّ به من أمرٍ ليفعله، أي إذا هم بأمر أمضاه وأتى به على أحسن وجه.

(٩) أذيل العسير ألين الناقة الصعبة لأحمل عليها الضعيف والمجتدي انباق علي الدهر قصدني ببائقة، وهي البلية والداهية متخوفاً متنقصا والتخوف الانتقاص اخترم ظهرتي الظهرة عشيرة الرجل أو متاع البيت وما يصونه الرجل مما يودعه منزله من الآنية أفنى عمارتي العمارة القبيلة أساف ماليه أوقع السواف في إبلي والسواف داء يأخذ الإبل فيقتلها أورد يأتي المورد أي الماء أصدرها الانصراف عن المورد طفلا عند غيبوبة الشمس طفلت الشمس تهيأت للغروب عكراً دثراً العكر جمع عكرة وهي سبعون من الإبل إلى المائة، والدثر المال الكثير وجمعه دثور قليلة الفرش والإفال الفرش الصغار من الإبل التي لا تطيق أن يحمل عليها، والإفال الصغار من الإبل، وقيل الفرش الغنم اجتملها الحدثان ذهب بجملتها ولم يُبق منها شيئاً حبجا وغدة من أدواء الإبل، الحبج أن تأكل الإبلُ النبات فتنتفخ بطونها حتى تموت قرع مراحي المراحَ موضع الإبل الذي تراح إليه، يعني أن إبله ماتت وتلفت وبقي مراحها أقرع. والعرب تقول: قرع مراحُ الرجل إذا ذهب مالهُفنت أوضاحي دراهمي اللأواء والشصاصاء الشدة وكلب الزمان.

تُطلي به الإبل من الجرب ثم استعير في كل من رفد غيره لسد فقر أو إصلاح أمر.

وقوله: "وكنت مفزعًا للجمة، مقنعًا للهمة"، تصوير لمكانة الأعرابي بين قومه وعلو شأنه فيهم. كذا قوله: "اخترم ظهرتي، وأفنى عمارتي،....، انتسفها الزمان، واجتملها الحدثان،...."، تصوير لقسوة الدهر وشدة فعاله وكيف أنه ينالُ من المرء، فيصيبه في قومه وعشيرته، ويفجعه في أهله وماله، مما يتضمن إيحاءً بعدم الاغترار به أو الركون إليه، فهو حُوّل ذو انقلاب.

ولعل في حديث الأعرابي عن الإبل خاصة، وتصوير فعل الدهر بها، وفجيعة الأعرابي فيها في قوله: "كنت أورد إبلي سحرا،....، فقرع مراحي، وفنت أوضاحي"، ما يدلّل على أهميتها في حياة البدوي، عليها قوامُ حياته وهي مقياس فقره وثرائه.

شيء آخر يلحظه المتأمل في النموذج السابق، هو ما تضمنه من حديث الفخر ووصف الدهر، بما يدعو للتأمل في حاله والاتعاظ به، الأمر الذي يُعدّ محاولة من الأعرابي للتخفيف من وطأة الاستجداء على نفسه، ومما يحسُّ به من شعور خفيّ بالصغار والذلة، بوقوفه موقف السائل المستجدي.

وإذا كان الأعرابيُّ في النموذج السابق، فقد اتخذ المكدي من حديث الدهر وتصوير نوائب الزمان سبيلا توسل به لإجابة سؤله واستنجاح حاجته، فها هو أعرابيٌّ آخر يتخذ من وصف سوء الحال سبيلا لإيجاب حقه على المسئول، لقاء ما لقي من نصب وتحمل من عناء في سبيل الوصول إليه، متوسلاً بأخوة الدين وكونه من أبناء السبيل.

قال الأصمعي: أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجهد، فدخلت طائفةٌ منهم البصرة، وبين أيديهم أعرابي وهو يقول: "أيها الناس، إخوانكم في الدين، وشركاؤكم في الإسلام، عابرو سبيل، وفلال بؤس، وصرعى جدب، تتابعت علينا سنونٌ ثلاثة، غيّرت النِّعم وأهلكت النَعم، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا، ونمنّي بالغيث قلوبنا، حتى عاد مخنا عظاماً، وعاد إشراقنا ظلاماً، وأقبلنا إليك يصرعنا الوعر، ويُكننا السهل، وهذه آثار مصائبنا، لائحةٌ في سماتنا، فرحم الله متصدقاً من كثير، ومواسياً من قليل، فلقد عظمت الحاجة، وكسف البال وبلغ المجهود، والله يجزي المتصدقين"(١٠).

وفي النص حث على العطاء، وحضّ على اصطناع المعروف مع التوسل بالدعاء، والتذكير بعظيم أجر المتصدقين. يقول: "فرحم الله متصدقاً من كثير،...، والله يجزي المتصدقين".

وعند تحليلنا لقوله: "عابرو سبيل، وفلال بؤس، وصرعى جدب"، نجد في حذف المبتدأ والمبادرة بذكر الخبر المضاف إلى نكرة - مع ما فيه من إيجاز- ما يصوّر معاناة القوم وما هم عليه من فقر وجهد وفاقة، فقد هزمهم البؤس وصرعهم القحط والجدب، يعضّد ذلك قول الأعرابي: "فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها"، وما يصوره من قسوة الزمان وشدة فعله بهؤلاء، وكيف أتى على أنعامهم فأذهب لحمها، ولم يبقِ إلا جلدها يكسو عظامها، منه يأكل القومُ وعليه يقتاتون، إذ لم يجدوا غيرَه يسدّ رمقهم ويُبقي على حياتهم.

أيضا، الجناس في قوله: "غيّرت النِّعم، وأهلكت النَعم" الذي يصوّر أثر السنين وقد تتابعت مجدبة قاحلة،

(١٠) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي – (م٣٢٨هـ) تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، دار الأندلس – بيروت – لبنان ط١. ١٩٨٨م.جـ ٤ ص ١٩ فلال بؤس: أي منهزمون أمام البؤس مخنا المخ نَقْيُ العظم، و"عاد مخنا عظاماً" تصوير لما عليه القوم من جدب وقحط، أهزلهم وأذاب مخ عظامهم يُكننا يسترنا.

فنالت من كل شيء وأهلكته، ففني المال وذهبت النعماء، وانقطع الغيث فبادت الأنعام.

وهكذا كان الجدب وشدة الفاقة سببا لاستجداء الأعرابي، وداعيًا لكديته، فلم يكن استجداؤهم- في الأعم الأغلب- لتحقيق كسب أو ثراء، بل كان لتحصيل ما يسدّ الرمق ويقيم الأود، في باديةٍ، السائدِ فيها شدة الفقر والعوز، يدل عليه إحساس بعض الأعراب بذلّ المسألة، واستشعار هوان الاستجداء والطلب، بل وتضمين نموذج الكدية تصريحًا بذلك ودلالة عليه. روى الجاحظ قال: قال أبو الحسن: سمعت أعرابيًا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة: وهو يقول: "أما بعد فإنا أبناء سبيل، وأنضاء طريق، وفلّ سنةٍ، فتصدقوا علينا، فإنه لا قليل من الأجر، ولا غنى عن الله، ولا عمل بعد الموت. أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفي الصدر حزازة، وفي القلب غُصّةٌ"(١١).

اتخذ الأعرابي من الشكوى ووصف سوء الحال سبيلا للاستجداء واستدرار العطاء، متوسلاً بشيء من الوعظ والتذكير بالله "فإنه لا قليل من الأجر، ولا غنى عن الله، ولا عمل بعد الموت" في محاولة لتخفيف من وطأة ما يحسه من ألم نفسي، وشعور خفيّ بالذلة والصغار، مصرّحا به مؤكدًا عليه بقوله "أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفي الصدر حزازة، وفي القلب غُصّة".

وبطريقة أخرى يكشف أعرابي آخر عما تنطوي عليه نفسُه من شعور بالهوان جرّاء الاستجداء والسؤال، الذي يرى فيه من المذلة والمهانة التي تلحق السائل، مالا يُجدي معه الانتساب إلى قبيلة ما، أو الانتماء لقوم بعينهم.

فعن الأصمعي أنه قال: وقف علينا أعرابيٌّ ونحن برملة اللوي، فقال: "رحم الله أمرأ لم تمجج أذناه كلامي، وقدم معاذة من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجرٌ يمنع من كلامكم، والفقر عاذر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، رحم الله امرأ أمر بمير، أو دعا بخير"، فقلت: ممن أنت يرحمك الله؟ فقال: "اللهم غفراً، سوء الاكتساب، يمنع من الانتساب"(١٢).

وكأن الأعرابي قد أدرك ما في السؤال من ذلّ وهوان يقدح، في النسب وينتقص من قدر السائل، يرى كذلك أن ذل الاكتساب يحجب الانتساب ويحول بين السائل وبين التصريح بنسبه. ولعل في قول الأعرابي "قدّم معاذة من سوء مقامي،... والحياء زاجرٌ يمنع من كلامكم" ما يؤكد هذا المعنى ويدل عليه، إذ يعكس شعور الأعرابي وما تنطوي عليه نفسه من إحساس بمهانة الاستجداء وذل السؤال، حقيق بأن يتعوّز ويستحيا منه، كما يتضمن حثاً على التعفف عن السؤال حفظا للكرامة وماء الوجه.

كذلك، اتخذ الأعراب من الشكوى ووصف سوء الحال سبيلا للكدية؛ فقد سلكت بعضُ نسائهم السبيل ذاته، فشكون الفقر والفاقة وتقلب الدهر والعوز وشدة الحاجة، وصوّرن الجهد الذي بذلنه والمسافة الطويلة التي

---

(١١) البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق /عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ح ٢ ص ٩٣ أنضاء جمع نضو وهو المهزول، أي هزلنا وأضنانا سلوك الطريق السنة الجدب والقحط وقوم فل منهزمون أي هزمنا القحط الحزازة وجعٌ في القلب من غيظ ونحوه الغصة ما غصصتَ به، أي شرق به أو وقف في الحلق فلم يكد أن يستساغ.

(١٢) الأمالي لأبي عليّ القالي البغدادي ، منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.جـ ١ ص ١٣٨. العقد الفريد جـ ٤ ص ١٤ بتغيير يسير. عيون الأخبارعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري- ضبط وتعليق/ الداني بن مُنير آل زَهْوي- المكتبة العصرية- بيروت سنة ٢٠٠٦م.جـ ٣ ص ١٠٨ بزيادة "اللهم غفراً ممّن لا تضرّك جهالته، ولا تنفعك معرفتُه، إن ذلَّ الاكتساب يمنع من عز الانتساب".

قطعنها بغية الوصول إلى المسئول واستدرار العطاء، كما توسلن إليه بالدعاء، وضمن الاستجداء شيئًا من الوعظ والتذكير بعظيم أجر الصدقة والإنفاق، في محاولة منهن للتخفيف من وطأة ما يشعرن به من ذل المسالة وهوان الاستجداء.

قال العباس بن الفرج الرياشي: حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال: وقفت أعرابية، فقالت:

"بعدت شقتي، وظهرت محارمي، وبلغ نسيسي، والله سائلكم عن مقامي"[١٣].وروى هارون بن مسلم عن العتبي قال: سألت أعرابية، فقالت: "سائلتكم تسألكم القليل الذي يوجب لكم الكثير، ورحم الله واحداً أعان محقاً".

وروى حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثني النضر بن حديد عن العتبي قال: وقفت علينا أعرابية، فقالت: "يا قوم تغير بنا الدهر، إذ قل منا الشكر، ولزمنا الفقر، فرحم الله من فهم بعقل، وأعطى من فضل، وآثر من كفاف، وأعان على عفاف".(١١)

يلحظ المتأمل في تلك المرويات، أنها جميعاً ترتكز على معاني الشكوى والدعاء والوعظ، وغيرها من المعاني التي تغلب على نموذج الاستجداء في نثر الأعراب، بيد أنها جاءت خالية من أية إشارة خفية أو جلية توضح لنا أكانت مغبونة أم ميمونة.

ثانيا: الكدية المغبونة:

قد يسأل الأعرابيُّ ويستجدى، فيرجع صفر اليدين، لا يجد لسؤله جوابًا، ولا تلقى كديته نجحا أو عطاء، بل يقابل بالرفض والصد والحرمان حينا، أو يلقي من الاستهانة والعبث به ، والتهكم منه ما يثير غضبه حينا آخر، وهذا النوع من الكدية خاسرة مغبونة.

وقد اختلفت ردود الأفعال ، وتباينت مواقف الأعراب، إزاء المنع بعد الاستجداء؛ إذ أثار الصدُّ والمنع حفيظة البعض، فهبوا ليُقابلوا الحرمان بهجاء المسئول وإبداء الضجر منه، في محاولة لاسترداد شيئاً من كرامتهم، وحفظ ما تبقى من ماء الوجه تارة، أو بالرضا وكظم الغيظ والإعراض عن المسئول، والتضرع إلى الله بعدم الافتقار لبشرٍ تارة أخرى، مما تجلى فيه ما كان عليه بعضُ الأعراب من يقين بالله، وفهم واعٍ لحقيقة الرزق، وأنه بيد الله يوسع على من يشاء ويُضيق على من يشاء، لحكمة لا يعلمها إلا هو.

فمن حرمان العطاء بعد الاستجداء، الذي أبدي فيه الأعرابُ ضجراً، وملأ صدورَهم حنقاً وغيظا، ما كان من أعرابيّ وقف في شهر رمضان على قوم، يشكو حاجته، وشدة جوعه وفاقته قائلاً: "يا قوم: لقد ختمتْ هذه الفريضةُ على أفواهنا من صبح أمس، ومعي بنتان لي، والله ما علمتهما تحللتا بحلال، فهل رجل كريم يرحم اليوم مقامنا، ويرد حُشاشتنا؟ منعه الله أن يقوم مقامي، فإنه مقامُ ذلّ وعار وصغار". فافترق القومُ ولم يعطوه شيئاً، فالتفت إليهم حتى تأمّلهم جميعاً، ثم قال: "أشدُّ والله عليّ من سوء حالي وفاقتي، توهمي فيكم المواساة، انتعلوا الطريق، لا صحبكم الله!"[١٤].

---

(١٣) بلاغات النساء بلاغات النساء، لأبي الفضل أحمد بن طيفور تحقيق/ بركات يوسف هبوّد، المكتبة العصرية صَيْدا- بيروت سنة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥مص ٥٩، ٦٠ الشقة المسافة الطويلة والسفر الطويل النسيس غاية الجهد.

(١٤) العقد الفريد جـ ٤ ص ١٧ تحللتا بحلال أراد الإفطار من الصيام أي أفطرتا الحشاشة بقية الروح في المريض. الصغار الذل انتعلوا الطريق انتعل الطريق سافر راجلاً وانتعل فلانٌ الرمضاء إذا سافر فيها حافياً.

فمع ما يستشعره الأعرابيُّ من ذل السؤال وعار الاستجداء- بدا جليا في قوله "فإنه مقام ذل وعار وصغار"- إذا بالمنع وحرمان العطاء أشدّ في النفس ألماً، وأكثر قسوةً ووقعا، "فليس من ضرٍ أوصل إلى نياط القلب من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه ولا تأمن ردَّه"(١٥).

وكأن الأعرابي- وقد توهم العطاء ممن ليسوا له بأهل، فحُرم ومُنع وهبّ يدعو عليهم بالمذلة والفقر، بعد أن دعا لهم بألا يذلوا فيقفوا موقفه ويسألوا مسألته- كأنه يُبدي ندما وحسرة، ويعاتب نفسه مستشعرًا قول الآخر: "فوت الحاجة خيرٌ من طلبها من غير أهلها"(١٦).

أحيانا، نجد الأعرابي عندما يشكو فاقته، ويعرض مسألته وحاجته، فيبوءُ سؤلُه بالمنع، ويلقي استمناحَه إعراضٌ وصد، مما يُثير حفيظته وغضبه، يأخذ في الدعاء على المسئول، بزوال ما لديه من نعم الحياة وملذاتها، ومثال ذلك:

وقف أعرابيٌّ بقوم فقال: "أشكو إليكم أيها الملأ زماناً كلح فيّ وجهُه، وأناخ على كلكلُه، بعد نعمة من البال، وثروة من المال، وغبطة من الحال، اعتورتني جدائُه، بنبل مصائبه، عن قسيّ نوائبه. فما ترك لي ثاغيةً أجتدي ضرعها، ولا راغية أرتجي نفعَها، فهل فيكم من معين على صرفه، أو مُعد على حتفه؟ فردّ القومُ عليه، ولم ينيلوه شيئاً، فأنشأ يقول:

قد ضاع مَن يأمل من أمثالكم جودا وليس الجود من فعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم ولا أزاح السوء عن عيالكم

فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم(١٧).
وفي النموذج من الشكوى ووصف سوء الحال، تصوير الزمان وقد تغير، والدهر وقد تحول وتبدل، فنال من الأعرابي وقلب له ظهر المجنّ بإنسان كالح عبوس، وتصوير وقع نوائبه وعظم دواهيه ومصائبه بالبعير وقد برك بصدره، وأناخ بكلكله وألقى بثقله على الأرض، مما يوحي بقسوة الزمان وشدة وقعه على الأعرابيّ.

كذا قوله "بنبل مصائبه، عن قسي نوائبه" تصويرٌ لنوائب الدهرِ ونوازل الأيام في قسوتها وإيلامها، وشدة وقعها بالسهام والقسي تتوالى سريعة ولا تخطئ هدفَها، مما يوحي بكثرة المصائب وتتابعها على الأعرابي، فلا يستطيع منها فكاكا، ولا يملك لها دفعاً أو دحضاً.

وقد يحدو المنع والحرمان ببعض الأعراب إلى الدعاء على المسئول، وإن كان المنعُ بلطف، والرد برفق ولين. سأل أعرابيّ قوماً فقيل له: بورك فيك! فتوالي ذلك عليه من غير مكان، فقال: "وكلكم اللهُ إلى دعوة لا تحضرها نية"(١٨).

وسأل آخر، فقال له صبيٌّ من جوف الدار: بورك فيك! فقال: "قبح الله هذا الفم، لقد تعود الشر

(١٥) القول رواه الأصمعي لأعرابي في الأمالي جـ ١ ص ٢١٤.
(١٦) القول رواه الأصمعي لأعرابي في الجليس الصالح ص ٢٩ والأمالي جـ ٢ ص ١٦٧.
(١٧) العقد الفريد جـ ٤ ص ٢٠ كلح عبس جدائده سنة جداء: محلة مجدبة، والجداء من كل حلوبة: الذاهبة اللبن عن عيب، والجدودة القليلة اللبن من غير عيب، والجمع جدائد وجداد الثاغية الشاة، من الثغاء صوت الغنم والراغية الناقة، من الرغاء صوت الإبل.
(١٨) عيون الأخبارجـ ٣ ص ١١٥.

صغيرا"[١٩].

وفي التنكر للسائل والدعاء على المسئول، ما رواه الأصمعي لأعرابي سأل رجلاً فاعتلّ عليه، فقال: "إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقًا"[٢٠].

ويرتبط بالمنع وحرمان العطاء ما قد يلقاه بعض الأعراب- جرّاء سؤلهم- من الاستهانة والعبث بهم، ما يثير حفيظتهم ويُأجج غضبهم، وقف أعرابيٌّ يسأل، فعبث به فتى، فقال: ممن أنت؟ فقال: من بني عامر بن صعصعة، فقال: من أيهم؟ فقال: إن كنتَ أردتَ عاطفة القرابة، فليكفك هذا المقدار من المعرفة، فليس مقامي بمقام مجادلة ولا مفاخرة، وأنا أقول: فإن لم أكن من هاماتهم فلستُ من أعجازهم، فقال الفتى ما رويت عن فضيلتك إلا النقص في حسبك، فامتعض الأعرابيُّ لذلك، فجعل الفتى يعتذر، ويخلط الهزل والدعابة باعتذاره، وأطال الكلام، فقال له الأعرابي: "يا هذا، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك، وقطعتني عن مسألتي بكلامك واعتذارك، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك، ما كان السكوت يستره من أمرك، ويحك! إنَّ الجاهل إن مزح أسخط، وإن اعتذر أفرط، وإن حدث أسقط، وإن قدر تسلط، وإن عزم على أمرٍ تورط، وإن جلس مجلس الوقار تبسط، أعوذ منك ومن حال اضطرتني إلى احتمال مثلك!" [٢١].

اتخذ الأعرابيُّ من السجع قصير الفقرات "إنّ الجاهل إن مزح أسخط... وإن جلس مجلس الوقار تبسط" سبيلاً لإسقاط صفات الجاهل على الفتى، ودحضه والرد على استهزائه وعبثه.

ولما كان العطاء وتحصيل النفعُ هو الهدف من الاستمناح، لم يكن الأعرابُ ليرضوا به بدلاً أو يبتغوا عنه حولا. وها هو أعرابيٌّ يتخذ من شكوى راحلته سبيلا لاستجدائه أملاً في العطاء، فيكتفي المسئول بدلالته على ما يزيل أسباب شكواه ولا يعطيه شيئاً، فلا يقنع الأعرابيّ بذلك ويتهاجيان هو والمسئول، ويتبادلان السبّ والذم.

روى محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أحمد بن الحارث قال: قال أبو الحسن، قال أبي: أتى فضالة بن شريك الكاهلي الأسدي- أسد بني خزيمة- عبد الله بن الزبير، فقال له: قد نفدت نفقتي، ونقبت راحلتي فاحملني، فقال له: أحضر راحلتك، فأحضرها، فقال له: أقبل بها أدبر بها، ففعل، فقال: أرقعها بسبتٍ واخفضها بلهب، وأنجد بها يبرد خفها، وسر عليها البردين تصح، فقال ابن فضالة: إنما أتيتك مستحملا ولم آتك مستوصفا، لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إن وراكبها، فانصرف ابن فضالة وهو يقول:

أقول لغلمتي شدوا ركابي أفارق بطن مكة في سواد
فمالي حين أقطع ذات عرقٍ إلى ابن الكاهلية من معاد[٢٢].

---

(١٩) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٢٧٠.
(٢٠) العقد الفريد جـ ٤ ص ٢١.
(٢١) زهر الآداب ، أبو إسحاق الحصري القيرواني، شرح وتعليق د/ يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.جـ ١ ص ٥٠٠.
(٢٢) الجليس الصالح ص ٤١٩، والمروية بإيجاز في عيون الأخبارجـ ٣ ص ١١٥ نقبت نقب البعير إذا رقت أخفافه، والنقب رقة الأخفاف بسبب كثرة الأسفار والارتحال. ارقعها بسبت السبت جلود يؤتي بها من اليمن تُتخذّ منها النعال، وهي من جلود البقر، وكانت من ملابس الملوك اخصفها بهلب يعني ما أخذ من شعر الذنب أنجد بها ائت بها نجداً سر عليها البردين البردان أول النهار وآخره مستحملا أي طالبا راحلة تحملني إن وراكبها يعني به نعم أي نعم وراكبها وهي لغة يمانية مشهورة الكاهلية إحدى جدّات ابن الزبير، وهي الأم

وفي ذكر الكاهلية، ونسبة الأعرابي ابن الزبير إليها خاصة قصداً لهجائه وسبّه- إذ علم أنها ألأم أمهات ابن الزبير- معنى لطيف، فالأعرابي بذلك لم يهجُ إلا نفسه ولم يسبّ إلا ذاته، فهو تعريضٌ بسبّه أبلغ من التصريح، وهو سبٌّ راجعٌ عليه بأعظم من سبّه وهجائه لابن الزبير، إذ بنو كاهل رهط ابن فضالة وعصبته[٢٣].

وقد بلغ الحنق والغيظ- إثر الحرمان والمنع- ببعض الأعراب مبلغاً دفعهم إلى هجاء المسئول هجاء مرّا مقذعاً، وتعداد عيوبه ومساوئه. فعن الأصمعي أنه قال: مرّ أعرابي برجل يكنى أبا الغمر، وكان ضخماً جسيماً، وكان بواباً لبعض الملوك، فقال: "أعِنْ الفقيرَ الحسير"، فقال: ما ألحف سائلكم، وأكثر جائعكم! أراحنا الله منكم، فقال له الأعرابي: "لو فُرِّق قوتُ جسمك في جسوم عشرة منا لكفانا طعامك في يوم شهراً، وإنك لعظيم السرطة، لو ذرى بجيفتك بيدرٌ لكفته ريح الجربياء"[٢٤].

ولعل في قوله "ما ألحف سائلكم، وأكثر جائعكم" ما يوحي بقسوة البيئة البدوية وشظف عيشها، ما جعل من الاستجداء ظاهرة طبيعة في المجتمع البدوي، وحدا بالأعراب إلى كثرة السؤال والإلحاح في الطلب.

على أن من الأعراب من سأل فحُرِم واستجدى فمُنِع، إلا أنهم أبدوا رضاً ويقيناً، ولم تحملهم قسوةُ المنع على السخط والضجر، أو تدفعهم مرارةُ الحرمان إلى ذم أو هجاء، بل لا يزالون يرجون العطاء، لم يحل المنعُ والحرمانُ بينهم وبين الطلب والاستجداء برقيق العتاب ولطيف الكلام. سأل أعرابيٌّ رجلاً فحرمه، فقال: "علام تحرمني! فوالله ما زلتَ قبلةً لأملي، لا تلفتني عنك المطامع، فإن قلتَ: قد أحسنتُ بدءاً، فما يُنكر لمثلك أن يُحسنَ عوداً"[٢٥].

وببديع القول ولطيف الكلام، المنبثق عن فهم واع وعقل حكيم، يستحيل المنع عطاء، والحرمان بذلا وسخاءً، فيما رواه العتبيّ حيث قال: رأيت أعرابيًا في طريق مكة يسأل الناس ولا يعطونه شيئاً، وبين يديه صبيٌّ صغير له، فلما ألحّ وأخفق قال: ما أراني إلا محروماً، فقال الصبي: "يا أبه، المحروم من سُئِل فَبخِل، ليس من سأل فلم يُعط"، قال: فعجب الناسُ من كلامه، وأقبلوا يهبون له حتى كسوه[٢٦].

لقد صدر الصبيُّ في قوله عن وعي وإدراك لحقيقة المال، وأن المحرومَ بحق من حُرم الأجر والمثوبة على البذل والعطاء، محاولاً بذلك أن يخففَ من وطأة الحرمان والمنع على نفس أبيه، وقد سأل فلم يُعط، "فالدراهم ميسمٌ تسم حمداً أو ذماً، فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له، وما كل من أعطى مالاً أعطى حمداً، ولا كل عديم ذميم"[٢٧].

كذلك رد بعضُ الأعراب المنع وحرمان العطاء، إلى طبيعة النفس وما جُبلت عليه من حبّ المال والأثرة والبخل، فرأوا علاقةَ لؤمِ الطباع بالبخل، وعلاقةَ كرمِ الطباع بالجود، وصوّروا ذلك في مواقف عدة. فها هو أعرابي يتوجه بالسؤال إلى من ليس بأهل للمنح والعطاء فيحرم، ويصور المسئول وبخله. سأل

جداته.

(٢٣) الجليس الصالح ص ٤٢٠.

(٢٤) الأمالي جـ ١ ص ٢٢٢ وبنقص في البصائر والذخائر جـ ٩ ص ٧٠ السرطة سريع الأكل نَهِم عظيم الأكلة البيدر موضع الطعام الذي يداس فيه ريح الجربياء ريح الشمال.

(٢٥) عيون الأخبارجـ ٣ ص ١٠٨.

(٢٦) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٢٣.

(٢٧) عيون الأخبارجـ ٣ ص ١٤٢.

أعرابيان رجلاً، فحرمهما، فقال أحدهما لصاحبه: "نزلتَ والله بوادٍ غير ممطور، وأتيتَ رجلاً بك غير مسرور، فلم تدرك ما سألت، ولا نلتَ ما أمّلتَ، فارتحل بندم، أو أقم على عدم"[٢٨].

وقوله "واد غير ممطور" تصويرٌ لشح المسئول وبخله، وكأنى به قد عمّ بخلُه محلتَه ومكان إقامته، فكساها قحطا وعمها جدبا، فغدت لا تجودها السماء بماء، ولا تمطرها بخير أو نماء. وهو تصوير يحمل معنى عتاب النفس، لكون الأعرابيّ أخطأ القصد وخالف الوجهة، حين قصد من ليس بأهل للمنح، فكان خليقاً بالحرمان والمنع. مستحضراً قول الآخر "فوت الحاجة خيرٌ من طلبها من غير أهلها"[٢٩] "فالحديد لا يُستعصر، والصخور لا تُستمطر"[٣٠].

ثالثا: الكدية الميمونة:

وهي التي رجع صاحبها مجبور الخاطر، قد نال بغيته، وظفر بمنحة مسئوله؛ فكثيرًا ما وجد استجداء هؤلاء الأعراب سبيلاً إلى قلوب الأثرياء، فتأثّروا بقولهم، وبما بدا عليه حالهم من فقر وشظف عيش، وإذا بهم يُكرِمون وفادتهم، ويجزلون لهم المنة والعطاء.

وقد تعددّت المضامين، وتباينت المعاني والاتجاهات، لنموذج الاستجداء مع العطاء في نثر الأعراب، من مدح ودعاء، ووعظ ورضا بالقليل، أو استقلال العطية وطمع في الكثير، واستنجاح بلطيف الكلام، أو حرص على الطلب وإلحاف في السؤال، إلى غير ذلك من معانٍ مختلفة ومضامين متباينة، ترتكز في مجملها على عنصر واحد وتدور في إطاره، هو الشكوى ووصف سوء الحال، التي تُمثّل بدورها سببًا أصيلاً في الاستجداء، وداعيًا رئيسًا للاستمناح وطلب العطاء.

ففي استنجاح الحوائج بلطيف الكلام، ما يُروى من أنه قدم على زياد نفرٌ من الأعراب، فقام خطيبهم فقال: " أصلح الله الأمير! نحن، وإن كانت نزعت بنا أنفسنا إليك، وأنضينا ركائبنا نحوك، التماسا لفضل عطائك، عالمون بأنه لا مانع لما أعطى الله، ولا مُعطي لما منع، وإنما أنت أيّها الأمير خازنٌ، ونحن رائدون، فإن أُذن لك فأعطيتَ، حمدنا الله وشكرناك، وإن لم يُؤذن لك فمنعتَ، حمدنا الله وعذرناك". ثم جلس، فقال زياد لجلسائه: تالله ما رأيت كلاماً أبلغ ولا أوجز ولا أنفع عاجلة منه. ثم أمر لهم بما يُصلحهم[٣١].

هذه صورة من صور الاستمناح وطلب العطاء من الأمراء، فيه استهلال بالدعاء، وحديث عن الرحلة والأسفار، وقطع المسافات وإجهاد الركائب. وهي بعد صورة تفيض باللطائف الرقيقة، والصور الموحية، فمن صورة القوم تاقت أنفسهم إلى الأمير، يلتمسون العطاء، يستحثهم الأمل ويحدوهم الرجاء في كرمه

---

(٢٨) زهر الآداب جـ ١ ص ٣٦٨.
(٢٩) الجليس الصالح ص ٢٩.
(٣٠) البصائر والذخائر جـ ١ ص ١٦٨، ١٧١.
(٣١) عيون الأخبار حـ ٣ ص ١٠٤ وزياد هو زياد بن أبي سفيان، المعروف بزياد بن أبيه النفر والرهط ما دون العشرة من الرجال نزعت النفس انجذبت ومالت، يقال للإنسان إذا هوى شيئاً ونازعته نفسه إليه هو ينزع إليه نزاعاً رائدون جمع رائد والمعنى نطلب ونلتمس العطاء والفضل، وفي حديث وفد عبد القيس إنا قومٌ رادة أي نرود الخير والدين لأهلنا. أنضينا من أنضى فلان بعيره أي هزله والنضو البعير المهزول، وقيل: المهزول من جميع الدواب.

وفضله، كما يدل عليه التعبير بـ"نزعت" وما يتضمنه من معنى الانجذاب والميل، ففي نزوع النفس إلى الأمير، وميلها نحوه، إيحاء بأنه جواد كريم، ومن ثم كان مقصد القاصدين، وقبلة السائلين المعتفين.

كذلك صورة القوم يصدرون في استمناحهم، عن يقين ثابت بالله، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع. هذا اليقين بما يُضفيه على سؤال الأعرابي، من معنى الكرامة وعزة النفس يتضمن وعظاً لولي الأمر بلطيف الكلام، وتذكيراً له بكُنه الملك وحقيقة المال، وأنه لله الواحد القهار، أما الأمير فله خازن، وفيه مُستخلف، وبحفظه وأداء حقّه مسئول مُخوّل. وقد لاقى هذا الفهم الذي صَدَر عنه الأعرابي في استمناحه، استحسان الأمير وإعجابه، إذ رآه في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة والإيجاز، فضلاً عما تضمنه من معنى النصح والإرشاد، فما كان من زياد إلا أن أثنى على صاحبه، وأكرم وفادته وقومه، وأمر لهم بما يُصلحهم جميعاً.

وفي قول الأعرابي مُخاطباً الأمير "فإن أُذن فأعطيتَ حمدنا الله وشكرناك" تصوير لما جرت به عادة بعض الأعراب بعد العطاء، من حمد الله وشكر المعطي، والثناء على صاحب العطاء.

سأل أعرابيٌّ رجلاً، فأعطاه، فقال: "الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وساقك إلى الأجر"(٣٢).

وقال أعرابي لرجل: "اشكر للمنعم عليك، وأنعم على الشاكر لك، تستوجب من ربك زيادته، ومن أخيك مُناصحته"(٣٣).

واتخذ بعض الأعراب من المديح، والثناء سبيلاً للاستجداء، واستدرار المنة والعطاء، مصوّرين بذلك واحداً من اتجاهات الاستمناح في نثرهم، ذلك الاتجاه الذي صدروا فيه عمّا ارتآه بعضهم من أنّ الأدب ليس مقصوداً لذاته، بل وسيلة لغاية، فلا قيمة للأدب ولا خير فيه ما لم تكن له ثمرة تُجني، وخير يُرتجى. وها هم يصورون الأدب لا يجلب نفعاً- من واقع البيئة البدوية- بالناقة التي قلّ لبنها فذهب نفعها تارة، وبالأرض الجدبة لا خير فيها ولا نماء فلا تسقي ظمآنا، ولا تشبع جائعاً تارة أخرى. ليم أعرابيٌّ على لؤم المكتسب فقال:

"الأدب ما لم يكن له حَلبٌ بمنزلة الحارد من النوّق، التي لا يُنتفع منها بمخض حقين، ولا قارصٍ دفين"(٣٤).

وقال أعرابيٌّ: "الأدب ما لم يجتلب قوتاً كالأرض الجدبة التي لا يمته عطشاها، ولا يخصب غرثاها"(٣٥).

ومن ثم قدم بعض الأعراب المدح بين يدي حاجتهم، قاصدين بأدبهم وجهاء القوم من الأغنياء والأثرياء، يمدحونهم رغبة في سيبهم وفضلهم، وكان المُمَدَّحُون يتوقعون ذلك، وينتظرونه من الأعراب، بل ويستحسنون قولهم ويُثيبونهم عليه.

---

(٣٢) زهر الآداب حـ ١ ص ٣٦٨، ص ٥٠٠.

(٣٣) السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣٤) البصائر والذخائر حـ ٢ ص ١٢٢ الحارد من النوق القليلة اللبن، استعير للأدب لا كسب فيه ولا نفع يُرجى من ورائه. الحقين اللبن الذي حُقن في السقاء. القارص الحامض من البان الإبل، يحذى اللسان لشدة حموضته.

(٣٥) المصدر السابق الجزء نفسه الصفحة نفسها. يمته يمتح غرثاها الغرث أيسر الجوع وقيل شدته وقيل الجوع عامة.

ذكر بعض الرواة أن مالك بن طوقٍ كان جالساً في بهوٍ مطلّ على رحبته ومعه جلساؤه، إذ أقبل أعرابيٌّ تخبّ به ناقته، فقال: إياي أراد، ونحوي قصد، ولعل عنده أدباً ينتفع به. فأمر حاجبه بإدخاله، فلما مثل بين يديه قال: ما أقدمك يا أعرابي؟ قال: الأمل في سيْب الأمير والرجاء لنائله. قال: فهل قدمت أمام رغبتك وسيلة؟ قال: نعم، أربعة أبيات قلتها بظهر البرية، فلما رأيتُ ما بباب الأمير من الأبهة والجلالة استصغرتها، قال: فهل لك أن تنشدنا أبياتك؟ ولك أربعة آلاف درهم، فإن كانت أبياتك أحسن فقد ربحنا عليك، وإلاّ قد نلت مرادكَ وربحت علينا، قال: قد رضيت، فأنشده:

وما زلتُ أخشى الدّهر حتى تعلقت ... يداي بمن لا يتقي الدهر صاحبه
فلما رآني الدّهر تحت جناحه ... رأي مرتقى صعباً منيعاً مطالبه
وأني بحيث النجم في رأس باذخٍ ... تُظل الورى أكنافه وجوانبه
فتى كسماء الغيث والناس حوله ... إذا أجدبوا جادت عليهم سحائبه

قال: قد ظفرنا بك يا أعرابي، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم. قال: فإن لي صاحباً شاركته فيها ما أراه يرضي بيعي، قال: أتراك حدّثت نفسك بالنكث؟ قال: نعم، وجدتُ النكث في البيع أيسر من خيانة الشريك، فأمر له بها[٣٦].

والأبيات بما تتضمنه من معنى الكرم والجود، تحمل إيحاء بكون الممدوح أهلاً لأن يُركن إليه ويُعتمد عليه، فمن لجأ إليه واحتمى بجنابه، وأصاب من فضل جوده وعطائه، بات في مُرتقى لا يرام وركنٍ لا يضام، فهو في مأمن من نوائب الدّهر ونوازل الأيام.

وفي المديح يستهلّ به بعض الأعراب استمناحهم، ثمّ يتبعونه الشكوى ووصف سوء الحال، ما حدّث به محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعي قال: ذكروا أنّ خالدًا بن عبد الله القسري لما أحكم جسر دجلة واستقام له نهر المبارك أفشى عطايا كثيرة وأذن للناس إذنا عاماً، فدخلت عليه أعرابية قسرية فأنشأت تقول:

إليك يا ابن السادة الأماجد ... يعمد في الحاجات كل عامدٍ
فالناس بين صادر وارد ... مثل حجيج البيت نحو خالد
وأنت يا خالد خير والد ... أصبحت عند الله بالمحامد
مجدك قبل الشمَّخ الرواكد ... ليس طريف المجد مثل التالد

قال: فقال لها خالد: حاجتك كائنة ما كانت، فقالت: أصلح الله الأمير، " أناخ علينا الدّهر بجرانه، وعضّنا بأنيابه، فما ترك لنا صافنا ولا ماهنا، فكنتَ المنتجع وإليك المفزع، قال: فقال لها خالد: هذه حاجة لكِ دوننا فقالت: والله لئن كان لي نفعها، إن لك لأجرها وذخرها، مع أنّ أهل الجود لو لم يجدوا من يقبل العطاء لم يوصفوا بالسخاء، قال لها خالد: أحسنت فهل لك من زوج؟ فقالت: لا، وما كنتُ لأتزوج دعيا، وإن كان موسراً غنياً، وما كنتُ أشتري عاراً يبقى بمال يفنى، وإني بجزيل مال الأمير لغنيّة، قال الأصمعي: فأمر لها بعشرة آلاف درهم[٣٧].

(٣٦) زهر الآداب حـ ٢ ص ٤٥٧.
(٣٧) الجليس الصالح الكافي ص ٦٤٣ خالد بن عبد الله القسريّ من خطباء العرب وأجوادهم، كان والياً على العراق

استمناح بلطيف الكلام، تنوعت فيه المعاني والمضامين، من مديح قدمته الأعرابية بين يدي حاجتها، أعقبه وعدٌ بالعطاء، تلاه استنجاز الوعد بالدعاء، لوليّ الأمر بالصلاح "أصلح اللهُ الأمير"، ثم الشكوى ووصف الفاقة وسوء الحال، الذي صوّرته الأعرابية من واقع بيئتها البدوية بقولها "أناخ علينا الدهر بجرانه، وعضنا بأنيابه"، استعارة تُصوّر قسوة الدهر وشدة نوازله وفعاله، وكيف أصاب القوم من نوائبه وصروفه، ما لم يدع لهم قليلاً أو كثيراً، ولم يُبقِ على إنسان أو حيوان. "فما ترك لنا صافنا ولا ماهناً".

ولأن المقام مقام استمناح واستجداء، يُرجى فيه استدرار المنة والعطاء، تُصوِّر الأعرابية الأمير جواداً كريماً، يقوم بالأمر ويكفي القوم الفاقة وشدة الفقر، حيث تقول "فكنتَ المنتجع وإليك المفزع" بفاء التعقيب، وما توحي به من كون الأمير مقصد القاصدين، وقبلة السائلين المعتفين، فما تلبث نوائب الدهر أن تحل بهم، وتنال منهم إلا ويتمثل أمامهم الأمير، بجوده وكرمه، وتشخص صورته أمام ناظريهم، فيهرولون إليه مسرعين، رجاء عطائه وجزيل فضله، وكأنه يُمثل تباشير الخير والجود، وقد لاحت في أفق هؤلاء المعوزين، فتعلقت به الآمال رجاء قضاء الحاجات. ولعل في تعريف الصفة بالألف واللام في قول الأعرابية "فكنت المنتجع وإليك المفزع" كذا تقديم الخبر شبه الجملة "إليك" على المبتدأ "المفزع" وما يفيده من معنى القصر، إيحاءٌ بكرم الأمير وجوده، وكونه أهلاً للاعتماد عليه والركون إليه دون غيره.

وملمح آخر يلحظه المتأمل في قول الأعرابية، مخاطبة الأمير "والله لئن كان لي نفعُها إنّ لك لأجرها وذخرها" وما يوحي به من وعظ وتذكير للأمير، بعظيم الأجر وجزيل المنة، والفضل المدّخر لكل منفق متصدق، وهو ما يتضمن حثًّا على العطاء وحضّا على المنح بسخاء، بكلام لطيف واستمناح رقيق، تجلت فيه بلاغة الأعرابية وفصاحة قولها، وقدرتها على الردّ وإبداء الرأي بأسلوب رائق مونق، حدا بالقسري- وهو الأمير الذي أثنى على كلامها مُستحسناً إياه- أن يُعرّض لها بالزواج، إلا أن فطنة الأعرابية ونفسها الأبية، حالت بينها وبين إجابة الأمير لطلبه، لما رأته في تلك الزيجة من المهانة والذلة التي تلحقها، ولا تفتأ تنفك عنها فتعيّر بها، وإذا بها تردّ طلب الأمير بلطيف الكلام، وتُبدي عُذراً بأسلوب رقيق فلم تكن "لتشتري عاراً يبقى بمالٍ يفنى"، ولم تكن لتفعل ذلك أو ترضاه، وقد أغناها الأميرُ بعطائه، وكفاها بجزيل كرمه وسخائه.

أمام تلك الفصاحة في القول، والبلاغة في التعبير، والفطنة وتوقد الذكاء، لم يجد الأمير بدّاً من أن يُثيبَ الأعرابية، فيُنجز الوعد ويُجزل العطاء والفضل.

كان هذا طرفا من استمناح الأعراب الذي تبعه عطاءٌ ومنح، قلّ ذلك العطاء أم كَثُر، كانت الشكوى ووصفُ سوءِ الحال من أبرز مضامينه وأكثرها فيه شيوعاً، عليها ارتكز جلُّ الأعراب، فرسموا صورة حية، مستمدة من واقع البيئة البدوية، تعدُّ تمثيلاً صادقا لما غلب على المجتمع البدوي من جدب وقحط، وانعكاساً لما عليه جلّ سكانه من فقر وعوز.

-الخاتمة-

عزله هشام بن عبد الملك وولّى مكانه يوسف الثقفي، فقتله يوسف بعد تعذيب سنة ١٢٠هـ وفيات الأعيان حـ ٢ ٢٢٦- ٢٣١. الجران باطن العنق، وقيل: مقدم العنق من مذبح البعير على منحره، فإذا برك البعير ومدّ عنقه على الأرض قيل: ألقي جرانه بالأرض، استعارته الأعرابية للدهر الصافن الأكحل من البعير والصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر الماهن العبد والخادم. لأتزوج دِعْياً من الدعوة أو يكون من الدع وهو الدفع في جفوة .

٦- تُعدّ الكدية والاستجداء[٣٨] بمعنى السؤال وطلب العطاء، ظاهرة طبيعية في كلّ المجتمعات تدفع إليها الفاقة وشدة العوز، لا يختص بها مجتمع دون آخر، ولا تقتصر على المجتمع البدوي فحسب، دون ما عداه من البيئات والمجتمعات الأخرى، وهي ظاهرة مُغرقة في القدم ولا تزال موجودة إلى الآن، وستظل باقية ما دام على وجه البسيطة أغنياء وأصحاب الثراء يقصدهم فقراء معوزون اشتدت فاقتهم وعظمت حاجتهم، فلم يجدوا ما يُسدّ الرّمق أو يقيم الأود.

٧- للكدية في نثر الأعراب ثلاث صور، هي: (الكدية المجردة، والمغبونة، والميمونة)؛ **فالأولى**: تتمثل في صورة الكدية على تنوع وسائلها وتباين معانيها واتجاهاتها- من الشكوى ووصف سوء الحال والتوسل بالدعاء أو المدح وإسداء النصح والوعظ- غير أن المكدي لم يصرحُ فيها بثمرة الاستجداء ونتيجته، فجاءت خلوا من ذكر للعطاء أو المنع، فهي بمثابة الاستمناح المجرد.

و**الثانية**: هي الكدية التي قوبلت بالرفض والصد، على الرغم من كونها- غالبًا- استمناحًا لتحصيل أسباب العيش وضرورات الحياة، ولم يكن وسيلة لتحقيق كسبٍ أو ثراء، فهو استمناح في صورته الأولية، دعت إليه الحاجة وشدة الفاقة، ومع ذلك فقد باء بالفشل والغبن، فرجع صاحبها عابس الوجه مكفهرا، يدعو على المسئول ثبورا، يهجو تارة ويلوم أخرى.

والثالثة: هي الكدية الناجحة، التي شُفعت ورجع صاحبها بعطاء ميمون، فانقلب إلى أهله مسرورا، يهش ويبش، يثني على مانحه ويشكره على عطيته.

٨- يُمثل النثر خاصة المسجوع منه أسلوبًا شائعًا من أساليب الكدية والاستجداء منذ بدايته وفي صورته الأولية، حيث الفقر الحقيقي والحاجة المُلحّة هما الدافع إلى السؤال وطلب العطاء، حتى بعد تحوّلت الكدية عبر العصور المتعاقبة إلى حرفة امتهنها البعض ونزعوا إليها، واتخذوها وسيلة للتكسب وتحقيق المنفعة وتحصيل الغِنى والثراء.

٩- كان السّجع أسلوبًا شائعًا للاستمناح في صورته الأولية، اتّخذه العُفاة والسائلون وسيلة للاستجداء والاعتفاء، وسبيلاً للتأثير في قلوب الأغنياء، يستدرون به عطفهم ونوالهم.

١٠- تعددت المضامين والمعاني المختلفة في ظاهرة الكدية في نثر الأعراب، فلا يختصّ بموضوع واحد، ولا يقتصر على معنى بعينه، بل غالبًا ما يضمّ النموذج الواحد معان عدة ومضامين مختلفة، من مدح وهجاء، ورثاء ودعاء، وموعظة وشكوى من الفقر وسوء الحال، والتي تعدّ قاسمًا مشتركًا في جلّ نماذج الكدية في نثر الأعراب.

المصادر والمراجع:

- أبو إسحاق القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري- زهر الآداب وثمر الألباب- دار الجيل- بيروت- -د.ت.
- أبوحيان التوحيدي: البصائر والذخائر- تح: وداد القاضي- دار صادر- بيروت- ط١-١٩٨٨م.
- أبو عبيد البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال- تحقيق: د/ إحسان عباس، د/ عبد المجيد عابدين- دار الأمانة- مؤسسة الرسالة- ط١ - سنة ١٩٧١م.
- ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق- شرح وضبط: مفيد محمد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٨٣م
- ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة دار الكتب العلمية- ط١- سنة ١٩٨٢م.
- ابن طيفور: أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء – مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة-

١٣٢٦هـ.

- ابن عبد ربه، شهاب الدين بن محمد: العقد الفريد – دار الكتب العلمية- بيروت- ط١-١٤٠٤هـ.
- ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم: لسان العرب –دار صادر- بيروت- د.ت.
- الثعالبي: يتيمة الدهر: تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد- دار الكتب العلمية – بيروت- ط١-١٩٤٧م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر الكناني: البيان والتبيين- دار ومكتبة الهلال – بيروت- ١٤٢٣هـ.
- الحجي، مظهر: نثر الدر- وزارة الثقافة السورية- ط١٩٩٧م.
- زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، ط دار الكتب ١٩٣٤م
- الزمخشري، جار الله: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار- مؤسسة الأعلمي – بيروت- ط١-١٤١٢هـ.
- القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي: الأمالي– دار الكتب المصرية- ط٢- ١٣٤٤هـ.

Begging phenomenon in Prose Bedouins

Abeer Mujahid Ahmed Al-Hassanein

Associate Professor of Literature and Criticism, University of Bisha
Lecturer of Literature and Criticism, Al-Azhar University
Supervisor of the Arabic Department, the Faculty of Arts and Sciences in Tathleeth

Abstract

The purpose of this research is to discuss the phenomenon of KDE in spreading Arabic. It also aims to reveal the features of the prose experience in this purpose, how it is formed, and how successful it has been in influencing the bid, positively and negatively. The descriptive analytical method has been used, and the most prominent research findings:

1. Begging, in the sense of asking and asking for giving, is a natural phenomenon in all societies, to which poverty is paid, not a society exclusively devoted to one another, and not only a Bedouin society, and it is a phenomenon that is immersed in the foot, and still exists until now.
2. To seek begging in prose, three images: (abstract begging, idiots, and auspicious); the first (abstract begging): is the complaint, describing the bad situation, and begging for supplication. However, the beggar did not declare the fruit of begging and its outcome, as it is merely anonymity.The second (begging beggar): is begging, which was rejected and repulsed, despite being - often - a preference for the attainment of the reasons for living, and the necessities of life, and it was not a means to achieve wealth, as it is a desire for wealth in its initial form, called for by the need and the severity of poverty, yet he lost Failed, so the owner turned sulky, calling the official, spelling again, and blaming another.And the third: (begging auspicious) is a successful begging, whose owner returned an auspicious bid, as he returned to his family with pleasure, praises his donor, and thanks him for his gift.
3. Prose, especially the one who is being prodded from it, is a common method of begging, from its inception, and in its initial form, as poverty is the motivation to requesting giving until the begging of kadiyya has turned into a profession that some have taken upon themselves, and they have taken it as a means of earning and achieving wealth.
4. Sajaa was a common method of taking comfort in its initial form, which was taken by the liquidators, as a means of begging, and as a way to influence the hearts of the rich, seeking their sympathy.
5. There are many contents, and different meanings, in the phenomenon of begging, in the prose of the Arabs, so it is not related to one topic, and it is not limited to a specific meaning, but often the same model includes several meanings, and different contents, from praise and spelling, lament and supplication, advice and complaint of poverty And bad case.

Key words: phenomenon - Begging - prose – The Bedouins.